بلبغا وقتلوه وكانت داره هى المعروفة الآن بالحوض المرصود وكانت مدة السلطان زين الدين شعبان كلها ثورات وتعاظم عليه وكانت الحروب بالرميلة وبولاق والجزيرة وجعل للاشراف العمائم الخضر ليمتازوا عن غيرهم وفى سنة ٧٧٨ هـ خرج للحج فلما وصل العقبة قام عليه المماليك فكر راجعا واختفى بالقاهرة الى ان قبض عليه وخنق ووضع بزنبيل وألقى فى بئر وفى أيامه ولى الكثير من أولاد الناس المناصب السامية والوظائف العالية وهو الذى بنى المدرسة الاشرفية تجاه القلعة وهدمت فى زمن السلطان برقوق

﴿زين الدين الملك حاجى﴾

كان عمره وقت تقليده السلطنة عشر سنين فلم يكن له من السلطنة سوى الاسم فقط وكان الامر بيد برقوق الوزير وكانت المملكة فى حالة الاضطراب لان كل أمير كان يريد الرياسة وكثرت العربدة فى البلاد واشتدت نيران الفتن فاتفق برقوق مع خشداشيته وهجم على باب السلسلة الذى هو باب العزب أحد أبواب القلعة واستحضر الخليفة الموجود وهو المتوكل على الله العباسى والقضاة والامراء واتفقوا على خلع الملك الصالح حاجى وتولية برقوق وتقررت بينهم سلطنة برقوق فكانت مدة سلطنته سنة وكسور فكان من تولى من ذرية الناصر اثنى عشر أقام واحدا وثلاثا وأربعين سنة مع ان الناصر محمد بن قلاوون أقام بها أربعا وأربعين سنة ومدتهم جميعا كانت شديدة حتى اشتد الضرر بالناس مع ان فى مدتهم جددت العمارات الكثيرة بمصر والقاهرة

الباب الثالث عشر

﴿دولة الجراكسة﴾

حكمت هذه الدولة سنة ٧٨٤ هـ وانقضت سنة ٩٢٣ هـ وعدد سلاطينهم ٢٢ سلطانا وأولهم برقوق ولنذكر من اشتهر منهم فنقول

﴿الظاهر برقوق﴾

أصله من مماليك يلبغا المتقدم الذكر ولما استقر برقوق فى السلطنة أكثر فى شراء المماليك وأمر لهم بالسكنة فى القاهرة وتزوّجوا بنساء أهل المدينة وتغيرت أحوال البلاد وعائدها ثم رفع نواب الشام لواء العصيان عليه وجرت بينه وبينهم حروب شديدة ودام الاضطراب حتى حضر يلبغا الناصرى بعساكر من الشام واقتتل مع عساكر برقوق خارج باب النصر فانهزمت عسكر السلطان واختفى برقوق واستولى يلبغا على القلعة وأخرج السلطان الصالح حاجى من السجن وولاه السلطنة ثانيا وأكثر القتل فى مماليك السلطان برقوق ومازال مجدا فى طلبه حتى عثر عليه فبعث به أسيرا الى الكرك وحبس هناك وصار الحل والعقد بيد يلبغا ثم حصلت فتنة من يلبغا والامير منطاش فتحاربا فى الرميلة وآل أمرهما بهروب يلبغا وأصحابه وصار الحل والعقد بيد منطاش فتمكن برقوق من الخروج من الكرك فخرج وانضم الى بعض مماليكه وكثير من العرب وحصلت وقعات بينه وبين نواب الشام والسلطان حاجى انتهت باسترجاعه الى السلطنة وهرب يلبغا فصار يجمع على بلاد الشام الى ان قتل يلبغا وأتى برأسه وعلقت على باب زويلة وفرح السلطان برقوق لقتله وفى ذلك الوقت كان ظهور تيمورلنك يعثو فى البلاد بعساكره وحصلت بينه وبين عساكر مصر وقعات عظيمة واستولى على بغداد فهرب صاحبها القان أحمد الى مصر فقابله ملكها بالترحاب وأنزله بقصر الامير طقوزدمور وهو محل المدارس المريية الآن بدرب الجماميز وجهز جيشا وسار معه الى بلاد الشام وكان تيمورلنك قد رحل عنها فرجع السلطان برقوق الى مصر وتوجه القان أحمد الى مملكته فكانت مدته كلها حروب وشدائد فكانت سلطنته بالديار المصرية والشامية ست عشرة سنة وكسور وكان كثير البر والصدقات ومات سنة ٨٠١ هـ

(الملك

﴿الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق﴾

تولى السلطنة وعمره عشر سنين وفى مدته قام عليه الامير ايتمش بمماليكه يريد خلعه من السلطنة فتحزب عليه مماليك الظاهر مع كثير من الامراء واقتتلوا بالرميلة وحول القلعة فانهزم ايتمش وفر الى الشام وقتل فى هذه الواقعة اناس كثيرون ونهب العوام بيوت الامراء الذين كانوا مع ايتمش وأحرقوا باب مدرسة السلطان حسن حيث كان ايتمش حاصر القلعة منها وقام بدل ايتمش بيبرس السيفى فهدد الناس وأصلح حال الرعية وكان ايتمش هرب الى الشام وعثى هنالك بالقتل والسلب فجهز اليه جيشا جرارا وسار اليه وقتله وجملة من أصحابه وأتى الى مصر بموكب هائل وعلق رأسه ورؤس أصحابه على باب زويلة وفى ذلك الوقت كان تيمورلنك قد قتل العباد وأحرق البلاد ونهبها حتى قيل انه بنى من الرؤس عشر منارات دور كل منارة عشرون ذراعا وكل ذلك وفرج المذكور فى لهو وشرب فسخط عليه الاهالى فقام بيبرس السيفى وصمم على قتله فهرب

﴿الملك أبو النصر شيخ﴾

ولما تولى السلطنة أمير المؤمنين الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس وتولى النيابة المؤيد شيخ فشاركه المؤيد فى الخطبة وصار الامر للمؤيد فتغلب على السلطنة وصار الخليفة له الاسم فقط ثم جمع القضاة والامراء وخلع الخليفة من السلطنة ولم يخلعه من الخلافة فاقام بالقلعة ثم خلعه من الخلافة أيضا وبعث به الى الاسكندرية وسجن هنالك الى زمن الملك الاشرف برسباى فاخرجه من السجن وسكن هنالك الى ان مات سنة ٨٣٣ هـ ودفن هنالك ولما خلع الخليفة سنة ٨١٥ هـ جلس هو بمفرده وكان هذا الملك من مماليك الظاهر برقوق واسمه أبو النصر شيخ وتلقب بالمؤيد ولما بلغ تورو زعامل الشام خلع المستعين فلم يقطع خطبة المستعين واستمر يخطب باسم الخليفة فسار اليه المؤيد وحاربه وقتله

ورجع الى القاهرة وولى منكلى بغا الشمسى محتسبا وكان هذا أول تركى تولى الحسبة وعصى عليه نواب الشام فسار اليه فقهروا هاربين وولى بدلهم وعاد الى القاهرة وصفى له الوقت وأكثر من شراء المماليك وقتل ابنه ابراهيم لما بلغه انه مصمم على نزعه من السلطنة ودفنه بالجامع الموجود بجوار باب زويلة ثم مات ودفن معه وكان أكثر اقامته ببولاق ووقع فى زمنه وباء عظيم حتى حصل للناس من ذلك ضرر وكان كريما يحب العلم والعلماء الا انه كان كثير السفك للدماء قتل كثيرا من النواب

﴿السلطان أبو النصر قايتباى﴾

لما تولى أبو النصر قايتباى تلقب بالملك الاشرف وهو أعظم سلاطين هذه الدولة له عمارات عظيمة بمصر والمدينة ومكة وغيرها منها جامع بجزيرة الروضة وجامع بقلعة الكبش والايوان الكبير بالقلعة وغير ذلك وهو من مماليك الظاهر چقمق وأنشأ عدة قناطر وجسور فى الاقاليم ووقف أوقافا كثيرة لعماراته وفى سنة ٨٨٤ هجرية حج السلطان قايتباى ولم يحج من سلاطين الجراكسة غيره ورتب لاهل الحرمين ثمانية آلاف أردب قمح وفى سنة ٨٨٧ هجرية توجهت عساكر مصر تحت قيادة يشبك الى حسن الطويل ملك العراق وجرى بينهما حروب كثيرة انهزم فيها العساكر المصرية ومات يشبك ووقعت الحرب بينه وبين السلطان محمد ملك الروم من سلاطين آل عثمان وسبب ذلك أن بعض تجار الهند أهدى هدية الى السلطان محمد المذكور فسمع بها قايتباى فاخذها فلما بلغ ذلك السلطان محمد حاربه فتظاهر عليه المصريون ثم ان السلطان المذكور بلغه تظاهر بعض الامراء المصرية عليه فأراد ان يتنازل عن السلطنة فامتنع أمراء الاهالى من ذلك فرجع الى السلطنة ثانيا ثم جاءت الاخبار باغارة العساكر العثمانية على بلاد الشام تحت رياسة السلطان بايزيد خان من آل عثمان قاصدا حرب قايتباى وسبب ذلك انه رحب بأخيه جم الذى كان منازعا له فى الملك فجهز اليه

سلطان مصر قايتباى العساكر مع الامير أزبك الذى نسبت اليه الازبكية فانتصر المصريون عليه مرارا ثم حصل الصلح بينهما وترك قايتباى عدنه وطرسوس اليه وكان سفير قايتباى جانبلاط بن يشبك السالف الذكر والبيان ومات قايتباى سنة ٩٠١ هـ وكان محبا لجمع الاموال وغير عجول فى الامور

﴿السلطان قانصوه الغورى﴾

هو أبو النصر قانصوه تولى السلطنة سنة ٩٠٦ هـ ولقب بالملك الاشرف فاقام ١٥ سنة ولما اتفق العساكر على توليته اشترط معهم أن لا يقتلوه وان رغبوا عزله انعزل وكان جبارا كثير القتل والسفك وله عدة مبانى منها المنارة المعتبرة بالازهر والبستان تحت القلعة والسبع سواقى لمجرى الماء من مصر العتيقة الى القلعة وعمر بعض أبراج الاسكندرية وعمل بطريق الحج عدة خانات وآبار وهو صاحب القبة الموجودة الآن بالبلدة التى سميت بها قرب المطرية ومع ذلك فانه كان كثير الطمع والظلم يأخذ أموال من يموت ومما يكه يظلمون الناس ووقعت بينه وبين السلطان سليم الاول من آل عثمان حروب بمرج دابق انهزم فيها الغورى ولم يعلم له حال وسبب هذه الفتنة انه رحب بأخيه كركود الذى كان ينازعه فى الملك ودخلت الشام من وقتئذ تحت حكم الدولة العلية وقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر قد ولوا عليهم طومان باى ابن أخ الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة ثم ذهب طومان باى الى السلطان سليم طائعا فقتله وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ودفن بعد فن الغورى المشهور وبموت طومان باى انتهت دولة الجراكسة

الباب الرابع عشر

﴿مصر تحت حكم الدولة العثمانية المرة الاولى﴾